معرض

شذا حنايشة أحوال المقاومة في جنين

فوتوغرافيا الناس و«الأرض غير المحروقة»

«جنين اليوم هي غزّة الصُّغرى وما يحدث فيها نموذج مُصغّر عن الإبادة الصهيونية برُمّتها»، تقول المُصوّرة الفلسطينية في حديثها إلى «العربي الجديد» التي التقتها على هامش معرضها المُقام حاليّاً في «دار النمر» ببيروت، ويتواصل حتى 25 أيار/ مايو المقبل

بيروت ـ **أنس الأسعد**

يُمكن لزائر «دار النمر» في بيروت أن يشهد الوقائع الاستعمارية، التي يُمارسها جيش الاحتلال الإسرائيلي في مدينة جنين الفلسطينية، من خلال معرض فوتوغرافي يضمّ 47 صورة وقعتها المُصوّرة والصحافية الفلسطينية شذا حنايشة، تحت عنوان «جنين: الأرض غير المحروقة»، الذي افتُتح في الخامس عشر من نيسان/ أبريل الجاري، ويتواصل حتى الخامس والعشرين من أيار/ مايو المقبل.

التقت «العربي الجديد» بالمُصوّرة الشابّة التي تحدّثت عن طبيعة المعرض الذي جُمعت صوره بين عامَي 2021 و2024، موضّحةً أنّ الصور تشمل جنين ومخيّمها وطولكرم ومخيّم نور شمس، تقول: «كانت عملية اختيار الصور صعبة، كونها جزءاً بسيطاً من أرشيف أكبر. فأنا أرغب أن أحكي عن كل الناس، ولكن مع ذلك لا توجد مساحة كافية، في النهاية حاولتُ أن أقدّم رؤية شاملة من خلال صُور الشهداء وعائلاتهم، أو الناس والبيوت والشوارع والتفاصيل الدقيقة المتمثّلة في الدّمار الذي يخلّفه الاحتلال وراءه». وتُتابع: «الصّور غير مُقسّمة كما ترى، ولو أنّ ما يجمعها هو طابع المقاومة، وهذا يُحيل إلى العنوان «الأرض غير المحروقة»، فبحُكم أنّي من جنين أولاً، فقد شهدتُ عمليات عسكرية كثيرة نُفّذت ضدّ المدينة، حيث يُحاول الاحتلال دائماً تنفيذ سياسة الأرض المحروقة، كما يُحاول تدمير البُنية التحتية، وفرض سياسات العقاب الجماعي، وبالتالي رسالة العنوان هي تعزيز فكرة المقاومة، بمعنى الإصرار على البقاء والاستمرارية، فبالنسبة لي بقاءُ الفلسطيني في أرضه وبيته هو جزءٌ من فعل المقاومة».

لا يُمكن الحديث عن جنين من غير العودة إلى عام 2002، في تلك الفترة التي أجتيح فيها المُخيّم إبّان الانتفاضة الثانية، الحدث الذي شكّل علامة فارقة في تواريخ القضية الفلسطينية، حينها كانت حنايشة ما زالت طفلة صغيرة، وهي اليوم ما زالت تنظر بتبنك العينَين إلى «من يُقاوم اليوم، وإلى الوعي الذي لا ينقطع بل يُتوارث عبر الأجيال، مَن هو طفلُ اليوم سيكون مقاوماً في المستقبل. ومع كلّ عمليّة يقوم بها الاحتلال بحجّة «الردع» سرعان ما تتحوّل في فترة زمنية قصيرة إلى وعي جديد لدى الأجيال تُنبّه على خطر ما هي فيه، لتستكمل طريق التحرّر من جديد».

وحين تُذكر جنين أيضاً، سرعان ما يتبادر اسمُ المراسلة الشهيدة شيرين أبو عاقلة، التي قتلها جيش الاحتلال في 11 أيار/ مايو 2022، أثناء تغطيتها الصحافية، حيث كانت شذا حنايشة برفقتها لكنّها نجَت بأعجوبة من إطلاق النار الذي استهدفهما. تتابع حديثها إلى «العربي الجديد»: «شيرين هي جنين، كونها استُشهدت في هذا المكان، وبالتالي اسمُها مرتبط بهذه المدينة، فالاحتلال لم يكتفِ بقتل شيرين بل دمّر أيضاً النُّصب التذكاري الذي أقيم تخليداً لروحها، وخرّب المكان الذي كانت الناس تزوره وتضع فيه وروداً، ما يجعلنا نتساءل إلى أي حدّ يُرعب اسم شيرين الاحتلال؟ حتى بعد استشهادها بعامين ما زالت مصدر قلق له، فعملية اغتيالها عنوان واضح وعالمي على الوحشية الصهيونية. فضلاً عن ذلك، شيرين، وعلى المستوى الشخصي، تعني لي كثيراً كوني شاهدة على جريمة الاغتيال ومحاولة قتلي أيضاً، هذا شيء قاس لا يمكن للكلمات أن تصفه، ولكنه يدفعُني أيضاً كصحافية فلسطينية إلى الاستمرار بفضح جرائم الاحتلال أكثر وأكثر».

> رافقت شيرين أبو عاقلة يوم اغتيالها ونجت من القتل بأعجوبة
>
> لقطاتٌ تقترب من حياة المُقاوم الإنسان وتنتصر لسرديّته

وعن سؤال: ما تعنيه جنين في حاضر الإبادة الصهيونية في غزّة؟ تُجيب حنايشة: «عندما يُريدون الكتابة عن جنين اليوم يقولون إنها «غزّة الصُّغرى»، وفعلياً ما يحدث في مخيّم جنين هو شيءٌ مُصغّر عمّا يحدث في القطاع، من محاولات تدمير ومَسْح للحياة الإنسانية. مع ذلك كلّ الجرائم المُرتكبة ما كانت لتنكشف لولا المصوّرون وجهودُهم في تسليط الضوء عليها، والمُخاطرة بحياتهم. نسمع أنّ الإبادة اليوم ليست أقلّ من نكبة ثانية، ولكن علينا أنْ نعي دور الصحافيَين في توثيقها وفتح عيون العالم عليها، فلولا هذا التوثيق لكانت كلّ هذه الفظاعات قد طُمست وغُيّبت».

وتستطرد: «لو أردنا نَشْر جُزء من صور هذا المعرض على وسائل التواصل الاجتماعي لَمُنعت وحُجبت، ولأغلق الحساب من أساسه. لذا، علينا التحرّر من سلطة هذه الشركات والإعلام الغربي المُنحاز للإبادة الصهيونية، والتوجُّه بالفعل إلى المَعارض القائمة على الأرض. هذه الصور تُشعر من يراها بأنه قريب وموجود مع الناس. سردية الغرب تنظر إلى صورة المقاوم على أنها صُور لـ«إرهابي»، في حين أنّنا نلتقط لحظات من حياة المُقاوم الإنسان، الذي حمل السلاح من أجل تحرير أرضه بعد عقود من القمع والقتل والممارسات الاستعمارية، هذه السردية غير مُعترف بها في الغرب، مع أنه ما زال يُروّج لها في أوكرانيا منذ عامين».

هناك حضور قوي للمُقاومين المُلثّمين في صور حنايشة، التي تُوضّح لـ«العربي الجديد»: «فضّلتُ أن أركّز على المقاومين حتى وإن كانت وجوههم غير مكشوفة، هذه التفاصيل ربما يتجنّبها الإعلام الغربي وبعض العربي، هناك صور تُوضّح تلازُم المقاتلين بغضّ النظر عن الفصيل الذي ينتمون إليه. لو نظرنا إلى إحداها لرأينا كيف يحمل الصديقُ صديقه الشهيد ويُداري وجهه من أشعّة الشمس، بقُبّعة يحملها، في لحظاتٍ أخيرة قبيل دفنه». كذلك تحضر المرأة في المعرض بشكل أساسي، حيث نجدها تُوجّه المشهد صوب الحياة وترميمها بعد أن لفّها الموت. يرتسمُ تعبٌ مُحتّل على وجوه الأمّهات، قسوةٌ تكشف عن ابتسامة بعيدة، تكشف عنها زنودُ شبّان مُمسكة بالبنادق.

بالوصول إلى الصورة الأيقونية لخيري حنّون (أبو ناصر)، التي تُعدّ إحدى أيقونيّات شذا حنايشة، ربّما، حيث التُقطت عند «القوسة» (مدخل مخيّم جنين الرئيسي)، الذي دمّره جيش الاحتلال مرّات عدّة، وبالتالي العودة إلى هذه الصورة تُوضّح لنا كيف كان شكل المدخل، وفقاً لحنايشة التي ختمت حديثها بالقول: «الرجل في الصورة هو الأيقونة، وليس الصورة في ذاتها، هو حاضر في كلّ تظاهُرة في جنين يأتي من طولكرم حاملاً العَلم الفلسطيني وبلباسه التقليدي، ليقف أمام الدّبّات الجيش بكلّ شموخ. في النهاية قد تكون هناك صور ليست بالقوّة المطلوبة، من زاوية فنّية، ولكن قوّتها تنبع من القصّة التي تقبع وراءها».

بطاقة

صحافية فلسطينية من مواليد بلدة قباطية قرب جنين. تتمتّع بخبرة صحافية ميدانية منذ عام 2015، وتركّز في اشتغالاتها على الممارسات الاستعمارية لجيش الاحتلال الإسرائيلي في جنين والضفّة الغربية. في أيار/ مايو 2022 وأثناء قيامها بعملها مُراسلةً لموقع «الترا فلسطين» نجت من إطلاق النار الذي استشهدت فيه مراسلة «الجزيرة»، شيرين أبو عاقلة. تستكمل حاليّاً دراساتها العُليا في الإعلام بـ«الجامعة الأميركية» في بيروت.

إطلالة

اعتراف بتاريخ موثّم جرّ نكبات

ليست قضية انتهت

يتخبّط الاحتلال الإسرائيلي في حربه على غزّة، بينما يُحاول الغرب الدفاع عن روابطه المصطنعة مع الاحتلال ضدّ معارضة تتّسع بين صفوف مواطنيه

فوّاز حداد

أصابت العالم الغافل عدّةُ أحوال طوال الشهور الستة الماضية، إثر عملية السابع من تشرين الأول/أكتوبر. كان الذهول للوهلة الأولى ردّة الفعل عليها؛ فالعالم اعتقد أنّ المقاومة الفلسطينية لا تزيد عن بؤر متفرّقة آخذة في التمزّق والذبول، محاصرة بأشقّائها العرب من الدول الراغبة في السلامة، طلباً للازدهار والتقدّم واللحاق بركب العالم التكنولوجي المتقدّم، ما أدّى إلى افتعال قطيعة فعّالة مع النضال الفلسطيني بتصنيفه على أنه إرهاب لا مقاومة، فالمقاومة السلمية، كما أصبحت معتقدة لا تحمل السلاح، ولا حتى الحجارة، أو التلويح بالعلم الفلسطيني. انتهى زمن حركات التحرّر نتاج ديكتاتوريات تابعة للروس، استفحلت بعد سقوط الاتحاد السوفييتي إلى ديكتاتوريات شرعية بإشراف أميركي ورضى إسرائيلي.

بلغ تعاطف «العالم الحرّ» مع «إسرائيل» أنّ رعاتها الغربيّين، أميركا وبريطانيا، لم يتخلّصا ممّا اعتراهما من ذهول إلّا بالمسارعة إلى غضّ النظر عن محو غزّة من الخريطة، ولا يلزم أكثر من تزويد «إسرائيل» بالسلاح والذخيرة والمتطوّعين والخبرات باطنان تكفي للقضاء على العرب وإيران معاً، إنْ استلزمت الحرب ذلك، غير أنّ العرب وإيران أكّدوا ألّا علاقة لهم بالذين صنعوا هذا الـ«أكتوبر»، ولا كانوا وراءه، ولا علم لهم به، فوجئوا به مثل الجميع.

هذا الحدث، وما نجم عنه، شكّل صدمات متوالية للغرب، لن يتمكّن من إخفائها، وكلّما جاءت صدمة لا تحلّ محلّها صدمة بقدر ما تتراكم فوقها. فالمقاومة الفلسطينية، التي لا تزيد عن فصائل مسلّحة، شنّت حرباً تُعدّ محض خيال من فرط إنجازاتها العسكرية الخاطفة، واستطاعت الصمود أمام قوّة عاتية مسلّحة بأسلحة ثقيلة وبتكنولوجيا متطوّرة، وأن تخوض حرب عصابات وانفاق ضدّ جيش بلغت به الهيستريا مَمّا أصابه وأصاب سمعته من خسائر أنّ التعويض عنها، كان في حرق الأخضر واليابس، ونشر الدمار في هدف لا يقلّ عن تسوية غزّة بالأرض، وعدم استثناء المستشفيات والمساجد والمؤسّسات المدنية، وقصف طوال عائلات بكاملها، استهدف الأطفال والنساء، بلغ من فظاعته محاولة التستّر على وحشيته باصطناع الدفاع عن النفس، أزرها الغرب ووصفها بأنّها ضدّ الإرهاب، وعمل على طمس جرائمها في الصحافة، بتقييد استخدام مصطلحات «الإبادة الجماعية» و«التطهير العرقي» و«الفصل العنصري»، واستخدام «مذبحة» و«مجزرة» لما حاق بالإسرائيليّين الذين قُتلوا في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر، وحجبها عن عشرات الآلاف من المدنيين الفلسطينيين الذين قُتلوا في غزّة. لم يكن ما تلاها من صدمات إلّا ظهور دعوات لم تذعن للرواية الإسرائيلية، وتنحو إلى نزع المصداقية الكاملة عن ادعاءات الإسرائيليين، وما انتهجته الصحافة الغربية طوال عقود في إنكار أحقّية القضية الفلسطينية، وتشكّك في القناعات المطلقة حول وجود «إسرائيل» بالذات، وما يُدعى بـ«أرض إسرائيل التاريخية»، واكتشاف أن الفلسطينيين ليسوا دخلاء، بل أصحاب الأرض، والإسرائيليّين مغتصبون بدعاوى دينية متلاعب بها. ما أعاد القضية الفلسطينية في العالم إلى المربّع الأوّل، إلى وعد بلفور وما استجرّه من تهجير واستيطان لبلد ماهول، وما ارتكبته العصابات الإسرائيلية من مجازر. وإدراك أنّ «إسرائيل» دولة احتلال، وليست كما روّجت وروّج الغرب عنها، بلداً ديمقراطياً يحيط به بحر من العداء العربي، يعمل على رمي اليهود في البحر. السردية الإسرائيلية لم تنسحب تماماً من التداول، لكن كان في وصف «إسرائيل» بأنّها صناعة غربية حسب نمط استعماري، ما خلخل النظر إليها على أنّها الضحية، وتقييم نشأتها بعيداً عن الهولوكوست النازي الذي تاجرت به وما تزال، وإمعان النظر إلى الهولوكوست الإسرائيلي الذي ظهرت مفاعيله في غزّة منذ تشرين الأوّل/ أكتوبر وحتى الآن، بأفعال موروست فيها حرب إبادة، لم تخطئها محكمة العدل الدولية. اليوم، تتخبّط «إسرائيل» في حربها على غزّة، بينما الغرب يحاول الدفاع عن روابطه المصطنعة مع الدولة العبرية، ضدّ معارضة تتّسع في الغرب نفسه من الناشطين الجامعيّين الشبّان والمفكّرين والمثقّفين والأدباء والفنّانين الكبار والمنظّمات الإنسانية.

ليست المشكلة مع «إسرائيل» فقط، المشكلة أيضاً مع حكومات تتشبّث بمواقفها لا تعرف كيف تغادر مواقع ترسّخت فيها، عاجزة عن إجراء تحوّلات هي اعتراف بتاريخ مؤلم جرّ نكبات، إنسانية، لا تعدو أكثر من ذلك النفاق والرياء اللذين ابتُليت بهما سياسات ما زالت أسيرة ماضٍ كان من نتاج جرائم الرجل الأبيض.

فلسطين ليست قضية انتهت، إنّها قضية مستمرّة. فلسطين ليست أرضاً متنازَعاً عليها، إنّها بلد محتلّ، ولا المقاومة إرهاب، بل حركة تحرُّر وطني.

(روائي من سورية)

> فلسطين ليست أرضاً متنازعاً عليها، بل بلدٌ محتلّ

من معرض «جنين الأرض غير المحروقة» لـ شذا حنايشة

قصائد

أمام هذا البحر الذي يشبه كتاباً تمزّق في حريق

لم يتركوا لنا مكتبةً صغيرة

حمزة كوتي

يرتدي الأخضر كما يرتدي المُطلق؛
يحاول إيجاد معنى بسيط عن
الأنقاض التي حالت بينه وبين العالم؛
أراد للحجر أن يكون طائراً.

أراد للماء أن يكونَ زجاجةً تتلألأ بها
الشمسُ؛ أراد للنّبع أن يصلَ به إلى
وردةٍ كبيرةٍ ينامُ تحتَها ركّالةٌ من زمنِ
البَنْفَسَج.

لا يمكن أن أقف أمام البحر وأتذكّر ما
حدث في ما سبق؛ أمام هذا البحر الذي
يشبه كتاباً تمزّق في حريق.

لم أنتظر منه الآليّ ولا قنّينةً فيها
رسالة القدر؛ لم أنتظر على الهوامش
الذابلة منه السفن ولا الأشرعة؛ أمام هذا
البحر الذي لم يصفه لون ولا الأهواء.

رحلتُ منذ سنين. من قبل أن يولد إنسانٌ
في حلمه؛ حيث الكلمة تخلع ثيابها
أمام المرآة وترتدي ثيابها الملوّنة.

عندما نزل المطر والبرتقالة على
الطاولة. رحلتُ منذ سنين عن نزهات
الزمن؛ والتاريخ أشياء للزينة
والتماثيلُ دمٌ وغرائز.

لم يتركوا لنا مكتبةً صغيرةً من تراثهم
نعتمدُ عليها؛ نَشربُ القهوة هناك؛
نلتقطُ صوراً للذِكرى أو نهديها كتباً
جديدةً من شَغَفِنا والحنين.

بحثنا كثيراً عن معنى بسيط؛ عن كلمةٍ
ترشدُنا إلى أثرٍ على ورقٍ؛ على غلاف
كتابٍ أو على عُملةٍ معدنية؛ ولم نجد
في تراثهم مكتبةً ولا حرائق.

دعني وهذا الصداع متواصلاً بين
الأشكال المائية والضوء؛ دعني وهذه
الريح تأتي بصراخٍ بعيدٍ لفتاةٍ من
أبعاد الليل.

دعني وهذه البرتقالة يغريني لونُها؛
وأن أقارنَ الأرضَ بها أو أتّخذَها صورةً
عن الأمل؛ دعني أسِرّ لوقتٍ طويلٍ في
هذا الطريق المظلم.

لم نعرف الكثير عنهم؛ لم يصلْ إلينا
عنهم سوى حرير الأغاني وبعض
الألغاز ضاعت في الطفولة. لم نرهم إلّا
في الأحلام التي تراودُنا بين حينٍ وآخر.

لقد نسينا لغتَهم وضاعت المفرداتُ
التي كُنّا قد ورثناها عنهم. لقد كانوا
مَطراً وسنابل؛ وقد كانوا أنهُراً وقوارب؛
بحثنا كثيراً عنهم في أراضٍ زراعية
وفي الطرق التي كانوا يسيرون فيها؛
وبحثنا عن أثرٍ لهم في الكتب؛ ولم
نجدهم إلّا في ما بعد الطبيعة.

لم نجد حجماً لموتنا أو مرتفعات؛
كانت الخرائطُ تتغيّرُ ونحن نتحوّل من
ساكنٍ إلى متنقّلٍ من مكان إلى مكان؛
وأصبحت كلمةُ الهجرة نفاقاً.

وكلّما اشتدّ بنا النفاقُ هوينا إلى
هاويةٍ من الكحول؛ نهوي إلى آخر ما
يريدُ بنا صداعُ الكون؛ من دون أن نجد
حجماً لموتنا أو مرتفعات.

(شاعر ومترجم من الأهواز)

من معرض شذا حنايشة المُقام حاليّاً في «دار النمر» ببيروت (العربي الجديد)

فعاليات

تحت شعار **فنون البيئة**، تحتضن «دار الثقافة الطيّب لوحيشي» بمدينة مارث في قابس جنوبي تونس، بين 24 و28 نيسان/أبريل الجاري، فعاليات **ملتقى مارث الدولي للفنون التشكيلية**. يتضمّن الملتقى مجموعةً من المعارض والندوات العلمية والورشات، بمشاركة فنّانين وباحثين من ثمانية بلدان عربية وأجنبية.

ضمن معرض **غزّة: لحظة تحوُّل**، الذي تستضيفه حاليا، تُقيم «مؤسّسة عبد المحسن القطّان» في رام الله، عند الخامسة من مساء السبت المُقبل، ثاني جلسات «حول سؤال الفنّ» التي تهدف الى الاسهام في بناء وصياغة مرجعيات للممارسات الفنّية بعد 7 تشرين الثاني/اكتوبر. تتحدّث في الحوارية رنا بشارة، وفيرا تماري، ولبنى الاعرج، وسميرة بدران، ويحاورهنّ يزيد عناني.

يحتضن «بيت المعمار المصري» في القاهرة، عند السادسة من مساء 27 نيسان/ أبريل، ندوة للمعماري **شريف ابو زيد** بعنوان **نحو عمارة محلّية مُعاصرة: تكاليف اقلّ، اقتصاد اكبر**. يعرض المتحدّث نماذج عمرانية مستوحاة من التراث المحلّي، ويناقش تأثير استغلال الخامات المحلّية على خفض التكاليف وتعزيز القدرة الاقتصادية.

تُعرض في «مؤسّسة شومان» بجبل عمّان، عند السادسة والنصف من مساء اليوم، خمسة افلام قصيرة: **نافذة الجيران** لـ مارشال كاري، و**حظر تجوّل** لـ شون كريستنسن، و**قصّة هنري شوغر الرائعة** (الصورة) لـ ويس اندرسون، و**رجُل الورف** لـ جون كارا، و**الوداع الايرلندي** لـ توم بريكلي وروس وايت. تُتبع العروض بجلسة نقاشية.